الأهمية التاريخية للمدن التهامية بيت الفقية الحديدة إنموذجا

أ.م.د.شيماء طالب عبدالله

الجامعة المستنصرية-كلية التربية

قسم التاريخ

الملخص:

سلط بحث (الأهمية التاريخية للمدن التهامية) الضوء على مدينتين حضاريتين شكلتا ركيزتين أساسيتين من ركائز تاريخ تهامة في اليمن، ذلك السهل الخصب الممتد على طول سواحل البحر الاحمر اليمنية حتى عدن. برزت بيت الفقيه على مر السنوات منارة علمية وثقافية ضمت بين أحيائها المدارس الدينية. أما مدينة الحديدة فتمثلت أهميتها في كونها منطلقاً اقتصاديا مهماً لنشاط القبائل والسكان عموما، والحركة التجارية البحرية التي نمت بنمو المدينة، ومما عزز مكانتها وأهميتها تصارع القوى السياسية للسيطرة عليها.

الكلمات المفتاحية: تهامة، الحديدة، بيت الفقيه، مدن تهامة .

The historical significance of the Tehama cities Baet Al- Faqih-Al- Hodeidah A model

Asst. Prof. Dr. Shaemaa Taleb Abdullah

AL-Mustansiriya University \ College of Education / Department of History

Summary

The historical significance of the Tuhami cities highlights two civilized cities that form a cornerstone of the history of Tihama, the fertile plain that stretches along the Yemeni Red Sea coast to Aden. Beit al-Faqih has emerged over the years as a scientific and cultural beacon that included religious schools The city of Hodeidah was an important economic starting point for the activity of tribes and population later, and the maritime trade movement that grew the city's growth, and reinforced its status and importance is the struggle of political forces to control.

Key Words: Tehama, Al- Hodeidah, Baet Al- Faqih, Tehama cities

المقدمة:

حظيت الدراسات الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية بأهميةً كبيرة كونها سلطت الضوء على ما خفي من جوانب تاريخ الحضارة على اختلاف عواملها. وعليه جاءت دراسة المدن التهامية لتكون حلقة وصل بين أهميتها وعراقتها وتاريخها في الماضي، وإزدياد تلك الاهمية في الوقت الراهن.

يعرض البحث دراسة مدينتين تهاميتين واحدة في الجانب الحضاري الديني والاخرى في الجانب التاريخي الاقتصادي. فالمدينة الأولى هي مدينة بيت الفقيه وسبب تسميتها، وأصل نشوئها ،وموقعها، وأهم من سكنها من القبائل، ومن برز فيها من العلماء ،ومدارسها، وتقسيمها الاداري، وارتباطها بغيرها من مدن السهل التهامي، والارث الحضاري الذي تركته مبرهنة أهميتها ومكانتها.

والمدينة الأخرى هي ميناء الحديدة ،والأهمية الاقتصادية والتاريخية للمدينة، ومراحل نشوئها، وأهم معالمها الاثرية، وسبب التنافس المحلي والدولي والعالمي على تلك المدينة ،لأنها مثلت نافذةً حيوية مهمة من خلال وجود مينائها وهونقطة التبادل التجاري المهمة على سواحل البحر الاحمر اليمنية، ومقابلتها لشواطئ الصومال الافريقية ،وقربها من باب المندب جعلها نقطة إستراتيجية لا يستهان بها.

إعتمدت في دراسة وكتابة البحث على مصادر عدة، كان بالدرجة الأولى منها إقامتي لمدة سنتين في اليمن، وإطلاعي بشكل مباشر على جوانب الحياة فيها، والمقابلات الشخصية التي أجريتها عام ٢٠٠٧، وإطلاعي على وثائق جامعة الحديدة وما حوته أيضاً من كتب قيمة ذكرت قسماً منها في صفحة مصادر البحث.

موقع تهامة:

تقع تهامة في الساحل الغربي لليمن من جيزان حتى باب المندب، وهذا الإقليم هو ساحل يقع بين جبال السراة شرقاً والبحر الاحمر غرباً، ويعتقد أن أصل التسمية تعني (وخم) إشارة الى مناخها الحار، وفي اللغة تهامة ما انخفض من الارض عكس نجد، تراوح عرض الساحل التهامي ما بين ٣٠-٦٠ كم، يرتفع عند سفوح الجبال ليصل الى ٣٠٠م وتصل درجة الحرارة صيفاً الى (٤٥) درجة وقلما تهبط في الشتاء عن

(٢٠) درجة، والمطر فيه قليل وغير منتظم، وفي جنوب تهامة مناطق حصباوية ومساحات واسعة من الكثبان الرملية، وفي الوسط مستنقعات وسبائخ عند الشاطئ، وتوجد ينابيع المياه العذبة عند سفوح الجبال. ضم سهل تهامة عدداً من الأودية التي تنحدر من المرتفعات باتجاه الغرب، غير أن مياهها لا تصل الى البحر[١].

وتهامة منطقة تاريخية مهمة، أشهر مدنها جازان، والحديدة، وزبيد، وغيرها، سكنتها قبائل عربية أصلية مثل قبيلة الأشاعرة ،ومذحج، وبنو النجم، وأل ورق ،وأل شهاب، وغيرهم، كما تعد قبيلة الزرانيق[٢] من أكبر قبائل تهامة ومن أشهر رجالاتها عبدالرحمن الغافقي فاتح جنوب فرنسا[٣]، ومما يذكر عن تهامة وقبائلها إنه مع بداية الاسلام بادر أبو موسى الاشعري مع وفد من شيوخ تهامة بالتوجه الى نبي العالمين محمد صل الله عليه وآله وسلم فأستقبلهم بترحاب وأثنى عليهم بحديثه الشريف ((جاءكم أهل اليمن ألين أفئدة وأرق قلوباً، الايمان يمان والفقه يماني والحكمة يمانية))[٤].

فرض التنوع السكاني والحضاري والاقتصادي نوعاً خاصاً من التطور والتميز انعكس على أهمية المدن الاقتصادية فكثرت فيها زراعة النخيل والقطن والتبغ والحبوب على مختلف أنواعها[٥] والاهمية الحضارية والثقافية، إذ ضمت مدارس وجوامع شهدت حلقات خيرة علماء اليمن المسلمين التي استمرت طويلاً ،فرفدت مختلف العلوم والمعارف بموارد كان لها أهميتها العلمية والدينية على حد سواء.

بيت الفقيه:

تقع بيت الفقيه في (تهامة اليمن) إلى الجنوب الشرقي من مدينة الحديدة. إذ تبعد عنها حوالي ٦٠كم، وتقع فوق تل مرتفع وعلى منتصف الطريق بين البحرالاحمرغرباً وإقليم ريمة الجبلي شرقاً، وقبل أن يختط الشيخ أحمد بن موسى عجيل[٥] مدينة بيت الفقية، كانت تتناثر حولها قرى تاريخية عدة ، أهمها قرية قالب، والحسينية، والمشعفل، والقحمة، وتشغل مساحة ١٥٢٩كم٢ وترتفع ١٠٨م عن سطح البحر[٦].

ذكرت المصادر أنها سُميت (كثيب شوكة) لكثرة كثبانها الرملية، وانتشار الأشواك في تربتها، وذكرها أمين الريحاني الذي زار اليمن عام ١٩٢٤ في كتابه ملوك العرب ((إن في قلب تلك البقعة في تهامة مدينة

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٥ – كانون الثاني لسنة ٢٠٢٠

كانت قديماً مشهورة بالعلم والصناعة وسكنها الوالي أحمد بن موسى))[٧].

دلت الاشارات العديدة في مصادر التاريخ على عراقة مدينة بيت الفقيه وقدمها وأهميتها، إذ ارتبط تاريخها بقبائل الزرانيق- كما ذكر سابقاً- وفخوذها لأنها تتوسط قراهم، وأضيف لأهميتها، موقعها بين مدن ومواقع تاريخية ومنها قرية الصرداحي نسبة الى الشيخ عبد الله بن صرديح ،والكدراء، والمراوعة ،والشويرا، وتسمى اليوم دير الشراعي وهي من اقدم المدن التاريخية اليمنية .وأقترن اسم بيت الفقيه باسم مؤسسها ، احمد بن موسى عجيل عام ٦٥٠هـ-١٢٥٢م واشتهرت به منذ ذلك الحين وأقام بها الناس وسكنوا الى جواره ، فمر بها خط سير القوافل والمسافرين للراحة والنوم ، وقدم لها الطلاب ليأخذوا من علم أحمد بن موسى ، فلا غرابة أن سميت بادئ الأمر ببيت الفقيه أبن عجيل ، ثم أُختصرت الى تسميتها المذكورة[٨].

إشتهرت بيت الفقيه بالعلماء والصلحاء والمساجد والاولياء ومدارس العلم الشريف- هكذا أُطلق على مدارس تحفيظ وتفسير القرآن الكريم- ، فغدت مركز قضاء تابع لمحافظة الحديدة في الوقت الراهن .

قسمت بيت الفقيه أول الأمر على خمسة أحياء، وقد تأسست تلك الاحياء على أساس وضعه الشيخ أحمد بن موسى ، فأسكن عمال الحياكة طرف المدينة الجنوبي فسميت ب (الحوك) . أما الذين قدموا من الشام فسكنوا بأمر الشيخ في الجزء الشمالي الغربي من المدينة، فسميت قريتهم ب(الشامة) ، والذين جاءوا من الصليف سكنوا الشمال الشرقي فسميت قريتهم بالصليفيين ، وقرية العلاوية نسبة الى العلو وهو الشرق وهو طريق الصعود للجبال ، أما حارة الهنود المجاورة للعلاوية فهي قرية حديثة استحدثت بعد إبن عجيل، وسكنها اليهود[٩] لأن المنطقة مهمة تجارياً، إذ وجدت في أحدى مخطوطات مكتبة الجامع الكبير نجمة داوود السداسية منحوته على جدار أحد جوامع المدينة وهو جامع الشرع. أقام اليهود الحصون لانهم سكنوا المرتفعات طلباً للأمان. فشكل اليهود نسبة لا يستهان بها من السكان وهم موجودون الى اليوم في الاجزاء الوسطى والشمالية من اليمن، وبالأخص في منطقة (صعدة الوعرة) شمال اليمن، ففيها أثارهم وقبور أحبار اليهود ومعابدهم[١٠].

وعلى هذا المنوال كانت كل قرية أو ناحية تؤسس نسبة الى سكانها أو الجهة التي جاءُوا منها، وكان لكل

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ - المجلد ٤٥ - كانون الثاني لسنة ٢٠٢٠

قرية (عاقل) بمثابة الشيخ ينتخب فيما بينهم، يحتكمون اليه في مشاكلهم ومسائلهم المختلفة، وهكذا توالى تأسيس ونمو الحارات والقرى بنمو السكان وتطور العمران والحياة عموماً[١١]، بالرغم من موجات الامراض التي تصيب السكان بين الحين والأخر بسبب، تردي الوضع الصحي والخدمات الصحية عموماً. وتاريخياً كانت الحكومة المتوكلية ١٩١٨-١٩٦٢ م[١٢]لا تؤمن بالطب وإنما تعالج الاوبئة بالتمائم والتعاويذ ما عمل على الفتك بالسكان وتردي الأوضاع. والخلاصة إن اليمن ومدنها كانت موطن طبيعي لمختلف الامراض والاوبئة،إذ فتك الطاعون- على سبيل المثال- بعشرات الألاف، وإن أمراضاً أخرى متوطنة دائماً في اليمن، فكان الاطباء على قلتهم ينصحون المسافرين بعدم شرب الماء في إثناء رحلاتهم بين المدن لأنها مشحونة بما لا يقل عن خمسة أمراض فتاكة[١٣].

الأهمية الاقتصادية والتاريخية لمدينة بيت الفقيه:

أثبت الموقع الجغرافي أهمية المدينة منذ القدم، فكونها قد توسطت العديد من المدن الاخرى جعلها ذلك خطاً تجارياً، ومحطة استراحة، ومركز تبادل تجاري لا يستغنى عنه، ما أدى الى نمو الزراعة وزيادة الوافر منه كالبن وأنواع الحبوب، وتوفر المواد الاولية والخام للعديد من الصناعات والتبادل التجاري، فنشأت فيها سوق مهمة لبيع البن وتصديره والمنتجات المحلية كالادوات الفخارية، وزيت السمسم، والمنسوجات المحلية التي أُنشئت لها المعامل الخاصة بها والتي وصلت أعدادها في الربع الاخير من القرن العشرين الى (٣٦٠) معملاً، تضاءل عددها بالتدرج نتيجة لتوافر البديل الاجنبي، وهذا لم يمنع الحاجة المحلية لمعامل إنتاج الخيوط اللازمة في الصناعات النسيجية مثلاً[١٤].

استمر سوق بيت الفقيه بالازدهار ولاسيما يوم الجمعة فدخلت اليه وخرجت مئات الحمولات المختلفة كان أشهرها المنوجات النسيجية من القطن والحرير لتصل الى الميناء البحري الذي يبعد حوالي ٤٠كم عنها من الجهة الغربية وهو ميناء غلافقة[١٥] وميناء مخا أيضا، فضلا عن إزدهار السوق أيام الجمع، ووصول تجار من الحجاز ومصر وتركيا وسوريا ومراكش وايران والهند ، ولوقوعها على منتصف الطريق بين مدن المنصورية والمراوعة والقحمة فكانت القوافل التجارية تمر وتتوقف عندها، أما أهميتها في تسويق البن

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ - المجلد ٤٥ - كانون الثاني لسنة ٢٠٢٠

فيرجع الى وقوعها بالقرب من مناطق زراعته في جبال ريمه وجبال برع ومنها يتم التسويق عبر ميناء مخا .(١٦) الموسوعة اليمنية

وبالرغم من إفول نجم مينائها غلافقة، وإزدهار ميناء مخا في زمن الامام يحيى حميد الدين، إلا إن أهمية المدينة التجارية إستمرت وزادت قيمتها بعد إعتماد ميناء مخا على ما تصدره أسواق بيت الفقيه من البن، حتى أطلق على ميناء مخا (ميناء البن) وإشتهر عالمياً باسم (موكا كافي) أي بن مخا، وتغنى بها الادباء، إذ قال أحدهم:

يا حبذا ثمرات البن حين بدت تزهر لنا بين أوراقٍ وأغصانِ

كأن أحمرها ما بين أخضرها سلك الزمرد منظوم بمرجانِ

ومنه يصدر الى باقي الدول وبالاخص الى موانئ بلاد الشام ومسقط ودول شرق أفريقيا، ومما لا يجب إغفاله هو زراعة وتجارة القات[١٧]، وهو مورد رزق كبير للأثرياء. يزرعونه في بساتينهم ويبيعونه بثمن مرتفع فيستهلك الموسورون منهم ثلاثة أضعاف ما يستهلكه الشخص العادي والمتوسط الدخل، وهذا النبات فيه مادة مخدرة بسيطة إسمها العالمي (كاتاإديوس) يؤثر في الاعصاب فيشعر الانسان بالانتعاش، ومن مضاره أنه يقلل الشهيه للطعام ويضر بالاسنان، وأهل اليمن عموماً يمضغونه ويخزنونه بجهة الفم ويشربون عليه الماء بكثرة، ويظلون هكذا من الظهر الى المساء، وفي إجتماعاتهم العائلية وأخرى يعقدونها كل يوم بمكان يسمى (المفرج) وهو قاعة جميلة لها نوافذ مزخرفة وملونة مفروشة بالسجاد والبسط، يتكئون على وسائد يمضغون القات ويدخنون التمباك في المداعه (وهي نوع من أنواع الشيشة أو الاركيله)[١٨].

تميزت بيت الفقيه بمعالمها التاريخية والحضارية منها على سبيل المثال، المساجد المنتشرة في معظم أحيائها والتي تزيد على إحدى وخمسون مسجداً يرجع تاريخ إنشاء البعض منها الى مئات عدة من السنين، ومنها الجامع الكبير الذي أسسه الشيخ أحمد، وأيضاً مسجد الجنة المأخوذ اسمه من إمراه صالحة بنفس الاسم من بني عجيل وهو أقدم المساجد في المدينة، وفيه درس وتتلمذ الشيخ أحمد بن موسى العجيل بنفسه قبل بناءه للجامع الكبير والانتقال اليه، احتوى هذا المسجد البسيط على قبة واحدة ومأذنه وغرفة واحدة

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٥ – كانون الثاني لسنة ٢٠٢٠

فيها المحراب، وفي غربهِ عدد من القبور والى الشرق قبر واحد فقط كانت تقام عنده في يوم محدد من السنة جلسات الذكر والأدعية والصلوات المحمدية والموشحات والاناشيد الصوفية، وبالقرب من هذا المسجد يوجد بئر عميق يؤمن حاجة المصلين أو غيرهم من الماء [١٩].

أما مسجد الاكسع فقد تم اكتشافه بعد أن كان مدفوناً في الرمال خارج حدود مدينة بيت الفقيه وبالتحديد بالقرب من قرية بني الفقير، ومسجد الماس الذي أسسه عبد الرحيم الماس حاكم بيت الفقيه مدة حكم الائمة القاسميين[٢٠]، والدلالة من لقبه إنه كان أحد العبيد لأن أئمة اليمن استخدموا المتميزين من رجالهم العبيد لإدارة المناطق البعيدة في البلاد وحكمها، فكان عبد الرحيم الماس مسؤولاً عن مناطق واسعة في تهامة وليست بلدة بيت الفقيه فقط، فقد كان رحيماً سخياً يجل الفقهاء والعلماء والهاشميين، واصطناع المعروف على طبقاتهم لكثير من الناس، لا سيما أهل البيت النبوي، فكان يعتني بهم غاية الاعتناء رعاية لحق جدهم المصطفى[٢١].

ومما يذكر من معالم بيت الفقيه أيضاً مسجد الجمامنة، وهو من المساجد القديمة في المدينة، ثبتت وقفيته على قطعة حجر مرمر بخط كوفي عند مدخل المسجد الذي نسب الى ابراهيم بن جمعان[]. من ناحية اخرى عدت منارة الجامع الكبير من معالم بيت الفقيه المهمة، إذ ذكر في مخطوطة شعرية إنها بنيت من قبل أحد الصالحين، وهي تقع في الركن الشرقي من المسجد، شهدت هذه المنارة فترات من الاهمال على الرغم من كونها هي الاطول على الاطلاق في اليمن، إذ بلغ ارتفاعها ٥٥م، وعدد درجات سلالمها ١٧٨ درجة[٢٢].

أما القلعة فهي من المعالم الاثرية والحضارية ايضاً لمدينة بيت الفقيه إذ شيدت في عهد الاتراك الاول بحدود عام ١٥٣٨م وقام ببنائها الامير التركي مصطفى باشا وهي بارتفاع ١٤م وعرض ٣٩م وطول ٥٧م.بنيت بالآجر وكسيت بالجص الأبيض، قام الامام أحمد حميد الدين بتجديد القلعة وترميمها عام ١٩٢٨ بعد دخوله للمدينة، وقد كان تجديدها بأحجار قبة ضريح الشيخ أحمد بن موسى العجيل، بعد أن هدم الضريح وذلك انتقاما من قبيلة الزرانيق –المار ذكرهم–لانهم كانوا يستغيثون بالشيخ أحمد عجيل عند حروبهم. احتوت القلعة كذلك على ثكنات عسكرية في الجهة الشمالية منها والى الغرب كان موقع المدفع، وفيها بئرا

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٥ – كانون الثاني لسنة ٢٠٢٠

للماء، وبركة نظيفة وانيقة في الجهة الشرقية استخدمت للوضوء والغسل، وعلى مر السنوات استخدمت القلعة لأغراض عدة، فمرةً شغلتها مستشفى المدينة، وأخرى أُستخدمت بناية للإتصالات، ولا تزال بناية القلعة موجودة ومن المؤمل تحويلها الى متحف محلي لحضارة المدينة وتاريخها(٢٣).

بناءاً على ما تقدم، عدت مدينة بيت الفقيه أحد أهم مدن تهامة واليمن عموماً من الناحية العلمية والتجارية، ارتادها الطلاب والعلماء على حد سواء، نافست العاصمة زبيد في حينها، إذ ارتبطت هذه المدينة بتاريخ قبائل الزرانيق وأصالتهم ونضالهم ضد حكم الائمة والاتراك على السواء.

الحُديده:

عُدت الحديده، ولاتزال إحدى أهم مدن سهل تهامة الواقعة في منتصف الطريق الساحلي على ضفة البحر الاحمر الشرقية من منطقة الشيخ يونس جنوباً حتى رأس الكثيب شمالاً، ومن الغرب ساحل البحر الاحمر ومن الشرق مدينة المراوعة أو صحراء الزعفران.

جسد لها هذا الموقع تميزاً جغرافياً واستراتيجيا مكنها من الاتصال مع شرق أفريقيا على الضفة الغربية للبحر الاحمر والمتمثلة بمدن السودان والحبشة وغيرهما من دول شرق وجنوب أفريقيا، ومكنها موقعها هذا من الاتصال البحري مع موانئ جنوب البحر الاحمر وشماله عند قناة السويس شريان الملاحة البحري الدولي(٢٤). وايضاً مكنها موقعها هذا من سهولة الاتصال البري مع مدن اليمن المختلفة فضلاً عن الاتصال مع السعودية المجاورة لها.

وبالرغم من صعوبة المناخ المتمثل بارتفاع الحرارة والرطوبة العالية جراء مجاورتها للبحر، إلا أن ذلك لم يؤثر على أهميتها الاقتصادية والحضارية وتمركز السكان فيها لمزاولة مختلف الانشطة فيها.

الشكل العمراني والاداري للحديدة:

من الواضح للأغلب أن الشكل العمراني للمدن اليمنية قد غلب على مساكنها وأبنيتها استخدام (الياجور) أو الطابوق الصخري، ولاسيما في المدن الحضارية المتمدنة في عموم المناطق التهامية مثل الحديدة وزبيد التي كانت حاضرة لثلاث دول يمنية هي الدولةالزيادية والدولة النجامية ودولة بني المهدي(٢٥). كانت الحديدة

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٥ – كانون الثاني لسنة ٢٠٢٠

إحدى مديريات زبيد فسبغ عليها ذلك أهمية تجارية واستراتيجية في كونها ميناءً رئيساً ومدينة ترتبط أسواقها وحياتها مع مدن الداخل اليمني ومع تلك التي تقع في أعالي جبال اليمن الشاهقة.

بالإضافة الى ذلك انتشرت المباني المتكونة من الطين والقش وهو ما اطلق عليه محلياً مصطلح (العشعش) وبالتحديد في المناطق التي تضم تجمعات قبلية محددة، فكان ذلك النمط في البناء والسكن مناسب للظرف الاقتصادي للسكان البعيدين نوعاً ما عن مركز المدينة والذين يقتاتون ويعيشون من صيد الاسماك والنشاط البحري المحلي عموماً [٢٦].

تطور هذا الامر لاحقاً لتصبح الحديدة الميناء الذي ترسو فيه القوارب وسفن الحمولات التجارية وليتطور الامر بعد ذلك الى ان تصبح المدينة من أهم الموانئ التجارية الدولية في المنطقة.

أصبحت الحديدة لواءً عثمانياً بحدود العام ١٥٤٠م، وولاية فعلية عام ١٥٥٨، إذ بدأ يتغير الطراز المعماري فيها، وكثرت البنايات التي تستخدم مادة الحجر للبناء المزخرفة بشكل هندسي لافت للانتباه يسمح بدخول الضوء من شبابيك عالية تتميز بدقة صنعها، وعلى الرغم من التدهور العام الذي أصاب اليمن بجلاء العثمانيين عام ١٦٣٥م، ومن ثم استلام الائمة حكم اليمن وتعاقبهم في ذلك، إلا أن الحديدة فرضت تطورها العمراني والاقتصادي لحاجة البلد لهذا الغرض، فعلى سبيل المثال ما قام به الحسين بن علي عام ١٨٣٣م من بناء سور للمدينة أحاطتها من جميع جهاتها، دلالة على أهمية المدينة وحاجتها لسيادة الامن واستتباب الاستقرار فيها، ولا تزال الى اليوم أجزاء من هذا السور واضحة للعيان معروفة باسم (سور باب مشرف). إذ ضمت المدينة أربعة ابواب بني إحداها في اثناء حكم الدولة الطاهرية(١٤٥١-١٥١٧م)[٢٧]، والبقية في إثناء حكم الدولة العثمانية، وجدت أيام حكم أئمة اليمن.

كان اهتمام الحكام العثمانيون بالحديدة نابعاً من تقديرهم لأهمية المدينة حضارياً واقتصادياً فأشتهروا بتعميرها وتجديد مبانيها واستحداث ما يجدونه ضرورياً لها، إذ بني مستشفى خصصت أجنحة منه للجيش وأفراد الشرطة، واهتموا بتخطيطها الإداري فتبعتها العديد من المستوطنات الريفية تجاوزت بيوتها المئات وسكنها بحدود ٣٠ الف نسمة، وبنى العثمانيون (كنداسه)[٢٨] للمياه عام ١٩٠٧م، وبوشر بفتح خط للسكك

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٥ – كانون الثاني لسنة ٢٠٢٠

الحديدية من تعز الى الحديدة عام ١٩١١ لكن افتتاحه تلكأ ومن ثم توقف إكمال المشروع بسبب إندلاع الحرب العالمية الاولى وانسحاب الاتراك العثمانيين من اليمن، وتولي الادارسة وانسحابهم ومجيء البريطانيون وقصفهم للمدينة، لكن تولى الائمة الزيود الحكم، ومنهم بالتحديد الامام يحيى حمي الدين الذي ولى إبنه سيف الاسلام عبدالله على الحديدة، فأخذ الاهتمام بالمدينة يظهر بصور عدةٍ، إذ أُسست المدارس العلمية منها مدرسة الصديقية، ومن ثم الحقت زبيد بالحديدة، وأعيد تعمير المستشفى القديم الذي دمرته الحرب وبعض مؤسساتها الخدمية الأخرى. ونتيجة لتزايد أهميتها ألحق بها عدد من الاقضية والنواحي ومنها اللحّية، وريمه، وحجور، وأبو عريش، وباجل، والزيدية ، والضحى، وبيت الفقيه، وزبيد[٢٩]، وبلغ عدد حاراتها تسعة وهي (حارة النصر، وحارة اليمن، والشحارية، والترك، والهنود، والمشرع، والحوك، والشام، والدهمية (الاخدام)[٣٠] فضلا عن حديقتين وبستان النصر، وازدادت المحال والدكاكين وبنيت المساجد العديدة، وتوسعت المدينة حتى وصلت حارتها الى سبع وعشرون حارة إضافية منها الشعبية، والعيش، والملح ،والبستان، والمغتربين، وزايد، والزبارية، والقلعة، والحي التجاري، والقاهرة ،وغليل، والكورنيش، والصبالية، والشرقية، وجيزان[٣١].

رافق هذا النمو زيادة في السكان بشكل مضطرد بسبب نشاط الحركة التجارية أولاً والتقاليد الاجتماعية ثانياً التي تبيح الزواج المبكر وتشجع على كثرة الابناء عند إنعقاد الارتباط ونعني بالزواج المبكر هنا هو عقد القرآن من ذوي العرسان من هم بعمر السنه أو السنتين فقط، ولسوء الاحوال المعيشية لبعض الفئات، كانت ترافق تلك الزيادة في المواليد، زيادة في الوفيات أيضاً بسبب الجهل والتخلف وانعدام الوقاية الصحية للمناطق البعيدة عن مراكز المدن الحضرية.

عدت الحديدة تاسع مدينة يمنية من ناحية الاهمية والكثافة السكانية بعد إب، وتعز، والمحويت، وذمار، وحجة ،وعدن، وصنعاء، ولحج ،على التوالي، إذ تأثر التوزيع السكاني باستغلال الاراض وكمية المياه الجوفية أو تساقط الامطار والظروف المناخية من حيث الحرارة والرطوبة، وإستنادا لذلك ضمت الحديدة أعلى نسبة سكانية في ساحة تهامة عامةً[٣٢].

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٥ – كانون الثاني لسنة ٢٠٢٠

لقد ترتب على تلك الزيادة العددية في السكان مشاكل عديدة ربما تكون لها ابعاد مستقبلية غير صحيحة منها، إن تلك الزيادة المستمرة سببت اضطرابا كبيراً للخطط التنموية على الأصعدة كافة، فعلى الصعيد الاقتصادي سبب ذلك خللاً في موازنة المورد المتاح والواقعي مع الزيادة السكانية والتي أدت الى هدر الدخل القومي والمعاشي للفرد مما أدى الى عجز بعض مدخرات الدولة الاضافية وعدم الانصراف للمشاريع التنموية.

أما على الصعيد الاجتماعي، فأثر ذلك في تدني المستوى المعاشي ومعدل الزيادة السكانية ماأدى الى خلق طبقات فقيرة جداً ومتوسطة وغنية، أي إيجاد مجتمع طبقي مع ارتفاع معدلات البطالة مما أثر في مسيرتها الحضارية بشكل عام. وكانت بعض الدراسات التاريخية قد أشارت الى إن سكان الحديدة يرجح إنهم انحدروا من تجمعات قبلية قحطانية، استقرت في اليمن بحدود القرن السادس الميلادي من بلاد الشام فضلا عن سكان اليمن الاصليين الذين أقاموا الحضارات القديمة فيها. ومن أشهر تلك القبائل الزرانيق المنتسبين إلى زرنق معزب بن عبيد بن محمد الفارس، وقد شاع ذكرهم في محاربة الاتراك العثمانيين والائمة الزيديين، واشتهر منهم المعازبة الذي انتسبوا الى معزب من اولاد سبأ بن يعرب بن قحطان، وقد ذاع صيتهم عندما حاربوا الدولة الطاهرية في حدود القرن الرابع عشر الميلادي، فاستقرت تلك القبائل جنوب الحديدة حتى الحسينية، وهذا ما أكده المؤرخ الشيخ أحمد عثمان مطير في كتابة الدره الفريدة بقوله (كانت الحديدة قرية صغيرة يأوي اليها الزرانيق الذين يصطادون الحوت)[٣٣].

والى جانب تلك القبائل ، قبائل القحوي الذين ينتمون أو يعدون أبناء عمومه للزرانيق، فاستقروا في المنطقة الممتدة شمال الحديده وتشمل جيزان ومرض حتى الضحى والزيدية وغرب الحديدة التي تشمل المراوعة والقطيع وباجل، وذكرت ايضاً قبائل جك والاشاعرة التي استقرت في الحسينية حتى جنوب الجراحي واشتهر منهم في زبيد أبو موسى الاشعري[٣٤].

من منطلق هذا الواقع اتجهت السلطة منذ منتصف القرن العشرين الى محاولة نشر الوعي الثقافي والحضاري وبالأخص عن طريق حلقات العلم والعلماء بسبب سياسة الانغلاق التي آمن بها أئمة اليمن

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٥ – كانون الثاني لسنة ٢٠٢٠

وفرضوها على الشعب اليمني ككل. كما عملوا فيما بعد على إيجاد بدائل اقتصادية جديدة وتشجيع الانشطة بأنواعها استقطابا للأعداد الكبيرة من الايدي العاملة من الشباب، وايضاً تشجيع الدراسات الميدانية للبحث والتطوير عن استخدام الخامات الصناعية في البلد واكتشافها، واستخدام التقنيات الحديثة في الزراعة والحفاظ على الثروة الحيوانية القائمة على أسس الانتاج وتحسينه، وايجاد تكامل بين الريف والمدينة ، وإدخال المزيد من المشاريع الخدمية التي ترفع من واقع المواطن الاقتصادي والمعاشي بشكل عام.

النشاط التجاري والاقتصادي لمدينة الحديدة:

ارتبط النشاط التجاري والازدهار الاقتصادي دائماً بالأحداث السياسية والادارية ارتباطا كبيراً منذ القرن الرابع عشر الميلادي، فبعد أن كانت الحديدة منطقة تجمع صيد للقبائل المحيطة بها، ومنطقة ساحلية قليلة الاهمية بسبب بعدها عن مراكز التحضر يسودها النظام الاجتماعي القبلي، نجدها بعد ذلك قد اتسعت وتطورت ولاسيما في عهد الدولة الطاهرية ٨٥٨- ٩٢٣هـ ثم تحولت الى مرسى للسفن، إذ وصلتها بعض السفن الهولندية التي كانت تجوب البحار في حركة الكشوفات الجغرافية.

جاءت بعدها المرحلة الثانية من التطور إبان الحكم العثماني، إذ أصبحت في تلك المدة أحدى ألوية اليمن عام ١٥٤٠م كولاية إسمية، ثم ولاية فعلية بحلول عام ١٥٦٨م، حينها طغت أهمية الحديدة على أهمية زبيد ، وزاد نشاطها على نشاط ميناء المخا[٣٥].

ساهم في زيادة أهمية الحديدة بالنسبة للعثمانيين ، الثورات والاضطرابات المستمرة في زبيد يقابله استقرار إداري وتجاري في الحديدة، فضلاً عن ازدهار الطريق التجاري الواصل بين المدن والقرى والتجمعات القبلية الكبيرة عبر الحديدة الى مينائها على البحر الاحمر، و موقعها على الساحل الغربي للبحر الاحمر ومقابلتها للسواحل السودانية والافريقية عموماً. انعكس هذا الازدهار والتطور على صادرات المدينة من البن اليماني ذي الجودة العالمية إذ وصل الى ٧٠ ألف طن عام ١٧٩٠م. أدى ذلك الى توافد التجار الحضارمة، والاستقرار فيها وايضاً الهنود وزيارة الرحالة البريطانيين لها إذ ذكر أحدهم في زيارته للحديده عام ١٨٥٩م ((إن الحديده من أعظم المدن التجارية اليمنية إزدهاراً وإنها تصدر البن الى مصر، وعدن، وأمريكا، والهند،

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية والاجتماعية – كانون الثاني لسنة ٢٠٢٠ – المجلد ٤٥ – العدد ١

وجدة ،والى تقريباً عموم أوربا.))[٣٦]

إستناداً الى ذلك أصبحت الحديده ميناءاً لتصدير البن والذهب والفضة والعبيد المستقدمين من أثيبويا، ومركزاً للتجار العاملين بالمقايضة وبالأخص اللؤللؤ والتمر والتوابل.

أولى العثمانيون التطور الاداري والحضاري عناية كبيرة، ففضلا عن نصب ماكنة تصنيع الثلج وتصفية المياه (الكنداسة) ، أسسوا لأقامة ميناء رأس الكثيب بسبب ازدياد الحركة على ميناء الحديدة، مما يشير الى أزدهار الحركة التجارية، وأرتفاع المستوى الاقتصادي للمتعاملين بالتجارة، سواء على المستوى الشخصي أم الحكومي الرسمي، وأقاموا رصيفاً لرسو السفن التجارية قرب حارة السور عام ١٨٨١م تكون من أربع دكك- جمع دكة- شرقية بطول ٥٠م وجنوبيه ملتصقة بالشرقية بطول ٥٠م وشمالية ملتصقة بالشرقية بطول ٣٠م وغربية بطول ٣٠م منحوتاً عليها اسم السلطان عبد الحميد الثاني[٣٧].

وبالرغم من إن بريطانيا أعلنت عدن عام ١٨٥٦ منطقة حره للتجارة العالمية إلا إن ذلك لم يؤثر في ميناء الحديده، إذ بلغت قيمة صادراتها من البن عام ١٨٨٢ مليوني جنيه إسترليني، وقدرت قيمة الواردات من البضائع بين مليوني ومليونين ونصف ريال فرنسي[٣٨]، وفي عام ١٨٨٥ بلغت صادراتها نحو ٧٠،٠٠٠ بالة من القطن الى جدة، أي ما يعادل ١١,٨٥٩ طن من القطن.

استمرت وتيرة الازدهار الاقتصادي بالنظر لزيادة أعداد السفن الواصلة الى الميناء، إذ قدر ما وصل من سفن الى ميناء الحديدة عام ١٩٠١نحو (٥١١) سفينة شراعية محليه و (١٢٩) سفينة تجارية من مختلف دول العالم، ولضمان استمرار الحركة التجارية من والى الحديدة، شرع العثمانيون بتنفيذ مشروع إنشاء سكك الحديد بين الحديدة ومدينة ذمار الجبلية والتي عدت في حينها من أهم وسائل النقل، لتسهيل التعامل والعلاقات التجارية الداخلية والخارجية، لكن نشوب الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨) حال دون تنفيذه، وعلى الرغم من تعرض المدينة للحصار التجاري، و القصف المدفعي إثناء الحرب من قبل الايطاليين والبريطانيين، وتأثر الحركة التجارية بذلك، إلا إن الوضع سرعان ما عاد الى ما كان عليه قبل الحرب حين

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ - المجلد ٤٥ - كانون الثاني لسنة ٢٠٢٠

وقع العثمانيون صلح دعان[٣٩] مع الامام أحمد حميد الدين.

وعلى الرغم من زيادة نسب الضرائب، وانتعاش التجارة في ميناء الخوخة[٤٠] وميناء مخا فقد سجلت الحركة التجارية نمواً وازدهاراً بعد سيطرة الامام يحيى حميد الدين على المدينة عام ١٩٢٥، إذ صدّرت عام ١٩٣٠ الى عدن ما قدره ٢٨,٢٢٨ كيس بن، و٨٢٠ بالة من الجلود، والى ميناء مصوع في الصومال ٢١,٠٣٦ كيس بن و ١١٧٢ بالة جلود، والى السويس وبور سودان والى ميناء أوديـــا في الاتحاد السوفيتي (سابقاً) وإستانبول.

ولأهمية الحديدة الستراتيجية والاقتصادية قام الاتحاد السوفيتي ببناء ميناء الحديدة الرئيسي في ١٩٥٨-١٩٦١م، كما أكملت الصين تعبيد الطريق الواصل بين الحديدة وصنعاء- وهو من أصعب الطرق الجبلية الوعرة التي تعلو على الغيوم في بعض أجزائه- إذ عدت تلك المشاريع من أكبر ما أنجز وأحدثت نقله كبيرة في النشاط الاقتصادي للحديدة لاسيما بعد ازدياد نشاط الحركة التجارية عبر قناة السويس في مصر[٤١].

المعالم الاثرية والحضارية لمدينة الحديدة:

أ- جامع الحديدة الكبير: عُد جامع الحديدة من المعالم الاثارية المهمة الموجودة في المدينة، إذ يقع داخل حارة السور، ويعود تاريخ بنائه الى ما قبل ٤٥٠ سنة مضت، قامت بعمارته امرأة تسمى فاطمة بنت أحمد الزراق، والدها أحد تجار مدينة الحديدة القادمين من عُمان، ثم توسع فيما بعد.

أضاف الشيخ محمد دحمان بادويلان بعد نحو ٢٠٠ سنة على بناءه خمسة صفوف إضافية من المؤخرة مرتفعة عن الصفوف الاولى، وعمّر المنارة والحمامات، ثم بعد مدة من ذلك رفع سطح الصفوف الاولى بحيث تساوت مع غيرها. ضم الجامع وحدات عدة من الحمامات تقع جنوب المسجد وعددها (٢٥) حماماً، منها(١٦) حماماً قديماً و(٩) أضيفت فيما بعد، كما ضم المسجد خزاناً واسعاً للمياه يطوقه حزام من الحنفيات للوضوء فضلا عن بركة بتصميمها القديم، وفي أقصى جنوب الحمامات توجد البئر التي تنقل الماء لخزان الوضوء، ويضم مجرى داخلياً لتصريف المياه التي تصب بعد ذلك في البحرالاحمر[٤٢].

بلغت مساحة المسجد ١٥٠م طولاً و٣٠م عرضاً، وكانت لا تقام صلاة الجمعة إلا فيه، تميز بقبابه

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ - المجلد ٤٥ - كانون الثاني لسنة ٢٠٢٠

التسعة ومنارتين قديمتين بينهما ثلاثة محاريب، وله (٢٤) عموداً وأربعة أخرى من جهة الغرب ، وإثنان من الجنوب، وأربعة من الشرق. ضم المسجد من جهة الجنوب قبه تلتصق بالمنارة من الغرب يفتح بابها من الشمال. داخل المسجد تحتضن في داخلها مكتبة تضم أكثر من ثلاثمئة مخطوط من المخطوطات النادرة.

وفي ستينات القرن العشرين عمّر المسجد، وأضيفت له اللمسات الحديثة في البناء بترميم القباب، والقبه الرئيسية، وإضافة الشبابيك التي زينت بالزجاج الملون لتمده بالضوء الطبيعي طوال النهار، وأضيف قسم للنساء لم يكن موجوداً قديماً، وتمت تغطية جدرانه بالحجر الملون ومن الداخل بالحصى الابيض.

ولهذا الجامع أهمية دينية فضلا عن أهميته التاريخية، كونه مركزاً مهماً للتوعية الدينية والثقافية وحلقات الدرس اليومي في أشهر رمضان على وجه التحديد، وهو ملتقى للعاكفين على دراسة القران الكريم وحفظه على امتداد أشهر السنه، وللجامع أوقاف يتولى مكتب أوقاف الحديدة إدارتها، تتمثل بالعديد من الدكاكين وعرصات وبيوت مؤجرة يعود ريعها للجامع نفسه[٤٣].

القلعة (باب مشرف):

عدت القلعة أحدى أهم المعالم الموجود ضمن السور القديم للمدينة والذي أحاط بحارة دخل السور، الذي يرجع بناؤه الى الشريف حمود الملقب (أبو مسمار) في العقد السابع من القرن التاسع عشر، وقد شيدت القلعة في عهد الحسين بن علي بن حيدر (١٨٤٠م- ١٨٤٩م) وبالرغم من تعرضها للقصف المدفعي من الاسطول الانكليزي عام ١٩١٤ والاسطول الايطالي عام ١٩١٨ الذين كانا مرابطين عند مدخل البحر الاحمر، إلا إنها ظلت شاخصة تدل على البعد الحضاري للمدينة.

بنيت القلعة بالأجر والجص وهي بأبعاد ١٤م ارتفاعاً و٣٩م عرضاً و٥٧م طولاً، فكانت بشكل مستطيل كشكل القلاع العثمانية الاخرى، أحاط بها زوايا للحراسة كل منها إسطوانية الشكل، وملئت جدرانها بالمتاريس للدفاع عنها وعن المدينة حين الضرورة.

أما من الداخل فحوت القلعة مواضع عسكرية من جهة الشمال لأن ذلك الاتجاه كان المحتمل دائماً لمهاجمتها لخلوه من التجمعات السكانية حينها، والى الغرب منها يقع ومكان المدفع الذي استخدم للقتال حيناً

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٥ – كانون الثاني لسنة ٢٠٢٠

ولمناسك رمضان عند الافطار وفي الاعياد حيناً آخر. أما في الجانب الشرقي للقلعة فيوجد باب صغير يفتح الى جهة الشمال بحيث يمر منه حبل طويل ومتين يسمى (الحجاز) في نهايته دلو ينزح به الماء من البئر الموجودة بواسطة حمار أو شخص يقوم على خدمة الناس، خلف هذه البئر بركة أنيقة تقع في الجهة الشرقية ايضاً من القلعة يطل عليها المسجد من جهة الغرب، وتستخدم تلك البركة للوضوء والغسل. تكوّن المسجد الصغير من صفين مسقوفين بداخل أولاهما الشمالية (المحراب) ولها مظلات، وفي الجانب الجنوبي من المسجد مخازن وإدارات(٤٤).

ولأهمية موقعها، ومتانة بناءها قياساً بالأبنية الموجودة في المدينة، فقد إلتجأ اليها الاهالي المدافعون عن المدينة حينما حاصرها وضربها الامام أحمد حميد الدين فسبب ذلك بخرابها وإهمالها حيناً من الزمن، وبعد دخول المدينة والاستيلاء عليها بالكامل، قام الامام أحمد بأعادة ترميمها باستخدام الحجارة القديمة لأضرحه الاولياء فيها ومنهم ضريح ابن علوان الزرانيقي.

أما وسط القلعة فضم فناءً واسعاً سمح لطوابير الجيش بممارسة تدريباتهم، وايضاً غرفة لأعداد الطعام، واسطبل صغير معزول.

ضمت القلعة أيضاً بناية مكونة من طابقين، كان العلوي منها من إضافات الامام أحمد استغله لاستراحتهِ، والطابق السفلي كان مخزناً وإدارات متعددة، استخدمت في مراحل لاحقة كمستشفى لرعاية المرضى، وايضاً إدارة للمواصلات بسبب وجود وتوفر المعدات، وشبكة الاتصالات الهاتفية فيما بعد (٤٥).

الحقت بهذه القلعة، قلعة أخرى أقدم منها في المدينة وهي (قلعة الكورنيش) والتي تقع قبالة الميناء على البحر على موضع مرتفع، وأغلب الظن إن تاريخ بنائها يعود الى ١٥٣٨م، بناها قائد الحملة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني وهو سليمان باشا الارناؤطي، سكنها أول حاكم لمدينة الحديدة وهو مصطفى غزة، واستخدمها مقراً لأدارته، وأيضاً موقعاً دفاعياً وثم سجناً أودع فيه المجرمين، وإستمرإستخدامها لهذا الغرض حتى زمن الأئمة الزيديين، وسبب ذلك إنها ظلت محافظة على طابعها المعماري والعسكري قروناً عدة، الى أن تعرضت للخراب والاهمال ودنا عليها التوسع العمراني والسكاني للمدينة(٤٦).

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٥ – كانون الثاني لسنة ٢٠٢٠

وأخيراً كتب أحدهم عن اليمن (لم يكن يخطر ببالي عندما عزمت على السفر الى اليمن، إني ساجده بهذا الجمال الرائع الذي حبته به الطبيعة، فهو رغم قربه من خط الاستواء، يقع على هضبة عالية تبدأ في التدرج من ساحل البحر الاحمر الى داخل اليمن الى سلسلة في الجبال ذات الاشكال المختلفة تتخللها الاودية العميقة، تجري فيها مياه السيول في خطوط متعرجة، وهذه الجبال تتكون من طبقات بعضها فوق بعض، يزرعه الاهالي بالشعير والقمح وتتناثر على قممها المدن والقرى بمبانيها البيضاء ونوافذها ذات الزجاج الملون والسواقي تجري من امامها شلالات تروي البساتين والحدائق بعضها في السهول التهامية، والبعض الأخر على جبال لا يقل إرتفاع إحداها عن ثلاثة آلاف متر فوق سطح البحر)[٤٧].بهذه الصفات نشأت المدن وتطورت وأسست قواعد حضارية سواء على الصعيد الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي.

الخاتمة:

بالرغم من الاهمية الحضارية والتاريخية لمدن تهامة، وما تميزت به من مميزات متنوعة ومتعددة عن مثيلاتها من المدن، إلا إنها لم تنل حظها الوافر من الذكر التاريخي والتدوين مقارنة مع تلك المكانة التي نالتها من إرثها الحضاري والثقافي والاقتصادي والسكاني، إذ إقتصر التأليف والنشر على الجوانب السياسية في أكثر الاحيان وعرض لمن تولى حكم اليمن وأهم من استعمرها وسيطر عليها.

عدت بيت الفقيه منارة للعلم والعلماء، تبوأت مكانة اقتصادية مهمة لأنها تقع في منتصف الطريق الواصل الى الحديدة ميناء اليمن المهم وبين مدن تهامة وقراها وصولاً الى تعز- العاصمة الاقتصادية لليمن- ومنها الى عدن، من هذا المنطلق توسعت الحركة التجارية العمرانية مقارنة بإنعزال تلك الاصقاع وصعوبة وصول الحضارة والتقدم الحضاري بشتى مجالاته، فكان إن شكلت تلك الحركة والنشاط الاقتصادي عامل جذب للسكان، فمنهم من إستوطن ومنهم من أقام للتدريس أو لطلب العلم والعودة مرة أخرى.

كذلك الحال بالنسبة لمدينة الحديدة التي نشأت أول الامر لتكون تجمعاً للصيادين ولرسو السفن التجارية الصغيرة، إذ يرجع تأسيسها إلى القرن الثالث الميلادي، فقدت فيما بعد قاعدة للعثمانيين ومنطقلاً لهم الى صنعاء، سرعان ما تحولت الى مركز إداري وحضاري مهم، والمطلع على تاريخ اليمن يلاحظ حجم

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٥ – كانون الثاني لسنة ٢٠٢٠

الانجازات الكبيرة المتنوعة في شتى المجالات إبتداءً بمجال المواصلات والاتصالات التلغرافية والبنى التحتية إبتداءً من نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بالرغم من سياسية الانعزال التي فرضتها القيادة السياسية لليمن متمثلة بحكم الائمة الزيديين حتى الربع الأخير من القرن العشرين.

الهوامش والمصادر:

١- الموسوعة اليمنية، تهامة، مؤسسة العفيف الثقافية،ج١، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٢، ص٧٤٢؛
ج. هيوارث دَن، اليمن، عرض عام للأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، القاهرة، ١٩٥٢، ص١٤.

٢- الزرانيق: وهم قبائل تهامية عريقة، يرجع نسبهم الى زرنق بن وليد بن عك وهو الجد الجامع لقبائل تهامة. تكونت الزرانيق من فروع تجاوزت ١٢٠ فرعاً تمركزوا بين الحديدة وزبيد . جَّون بولدري، العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركي ١٩١٤- ١٩١٩، ترجمة سيد مصطفى، القاهرة، ١٩٨٢، ص٤١؛ عبد الرحمن عبدالله الحضرمي، الزرانيق ودورهم في التاريخ، مجلة الحكمة، ١١٠ع، لسنة ١٣، ١٩٨٤.

٣- امين الريحاني، ملوك العرب، رحلة في البلاد العربية، دار الجيل،ط٨، بيروت ، ١٩٨٧، ص٢٧٧.

٤- عبدالله عبدالكريم الجرافي، لمحة جغرافية عن اليمن، مجلة العالم العربي، القاهرة، ١٩٤٨/٥/١٠، ص٢٠؛ المصدر نفسه، المقتطف من تاريخ اليمن، مؤسسة دار الكتاب الحديث، ط٢، بيروت، ١٩٨٤، ص٢٦١.

٥- نجم الدين عمارة بن ابي الحسن علي بن زيدان اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد في تاريخ صنعاء وزبيد وملوكهما وشعرائهما وأدبائهما، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١، ص٧٨.

٦ -المصدر نفسه، ص٧٩؛ حسن محمد جوهر، الزيدية وحكم الائمة، القاهرة، ١٩٦٧، ص٤٢ .

٧- أحمد بن موسى الفقيه ، وهو فقيه وصاحب علم ودين، ينحدر من بيت علم ذائع الصيت، واليه تنتسب مدينة بيت الفقيه ، يرجع نسبه الى محمد بن عبدالرحمن بن أحمد بن الفقيه المقدم وصولاً الى محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن فاطمة الزهراء (عليها السلام). الموسوعة اليمنية، المصدر السابق ،ج١ ،ص ٥٧٣ ، ج٣، ص٢٠٤٢؛ وللمزيد ينظر محمد الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق محمد علي الاكوع ، دار الحكمة اليمانية، ط٢، صنعاء، ١٩٩٦.

٨ – محمد عبده كيال، الفقيه الذي لم ينصفه التاريخ، منتدى العمري، صنعاء ١٩٩٩، ص١٢٥.

٩- اليهود: أو التيمانيم(اليهود بالعبرية)، وجود اليهود في اليمن قديم قدم حضاراته فتقول الروايات إنهم بقايا قبائل يمنيه اعتنقت اليهودية مع الملكة بلقيس أو جاءوا مع سيطرة الاحباش على اليمن ويصنف الباحثون يهود اليمن من طائفة المزراحيم (مصطلح عبري لليهود الشرقيين) وعند دخول الانكليز الى عدن أزدادت أعدادهم الى حدود ٥٥٨ شخص في عام ١٨٣٩ ثم إزدادوا في محمية عدن الغربية الى ٢٧٥٠ يهودي ومحميةعدن الشرقية الى ٢٠٠٠ يهودي ، تركزوا في مناطق الحوطة ويافع وشعيب والضالع وعدن ، سيطروا على مفاصل التجارة مثل تجارة البن وصناعة الاحذية والملابس والسجائر والعمل بالفضة والذهب ومحلات الصرافة وغيرها تقلصت أعدادهم بعد قيام دولة إسرائيل١٩٤٨ ولاسيما بعد أن سمح لهم الامام يحيى حميد الدين إمام اليمن بالهجرة الجماعية برا وبحرا وبصورة إجبارية في أغلب الاحيان. علوي

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٥ – كانون الثاني لسنة ٢٠٢٠

بن سميط، يهود اليمن ، موقع المشهد العربي؛ كاميليا أبو جبل ، يهود اليمن، دراسة سياسية وأقتصادية وأجتماعية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، القسم الاول، دار النمير،ميتشيغان،١٩٩٩ ، ص ٩٣ .

١٠- أحمد كامل راوي، مقابلة إذاعية، باحث متخصص في يهود اليمن، رئيس قسم اللغة العبرية، جامعة حلوان، كلية الآداب؛ يوسف اليوسفي، هل كانت بيت الفقيه مدينة يهودية، جريدة الجمهورية، ع٨، ١٩٩٩، ص٧.

١١- الموسوعة اليمنية، المصدر السابق، ج٢، ص ٥٧٣؛ وللمزيد ينظر ابراهيم المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، دار الكلمة ،ط٤،صنعاء،٢٠٠٢ ؛ مقابلة شخصية مع المؤرخ عبدالله خادم العمري في مكتبتة الخاصة في مدينة بيت الفقيه بتاريخ نيسان/ ٢٠٠٧.

١٢- الحكومة المتوكلية، وهي حكم الائمة الزيديين، حكمت في اليمن عام ١٩١٨ حتى عام ١٩٦٢ من قبل الامام يحيى حميد الدين المتوكل إمام الزيدية، اطلقت التسمية على اليمن الشمالي لتحديد حكمها بعد انتهاء الحكم العثماني وانسحابهم من اليمن.للمزيد ينظر، حسين عبدالله العمري، مئة عام من تاريخ اليمن ١٧٤٨-١٨٤٨ ،ط١، دار الفكر، دمشق.

١٣- اليمن في الصحافة العربية في القرن العشرين ١٩٥٠- ١٩٥٢، اليمن مهد الحضارات، مجلد١، ج٩،مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات ، القاهرة ، كانون الثاني ٢٠٠٢، ص١٢٧.

١٤- المصدر نفسه، مجلد ١٠، م/ مشاهدات مصري في اليمن، ص٣.

١٥- ميناء غلافقة : وهي مدينة وميناء لزبيد ، يقع شمال غرب مدينة زبيد وتعرف كذلك ب (غليفقة) ، ذُكرت في التاريخ بأنها عامرة آهلة ، بها جامع يطل على البحر الاحمر وآبارها حلوة إلا أنها وبئة مضرة للغرباء، وكانت مرسى مشهور للسفن ، زارها الرحالة الدنماركي أرستن نيبور في القرن السابع عشر الميلادي ، وقد نقش أسم غلافقة على أحد الابواب الاربعة لسور مدينة زبيد. الموسوعة اليمنية، المصدر السابق، ص ٢٢٣٣؛ الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، حلقة الدراسات الاجتماعية، الدورة الخامسة، ١٦-٢٥ حزيران، ص١٦٠ ؛ وللمزيد ينظر عمارة بن علي اليمني، المصدر السابق.

١٦- ميناء مخا: من موانئ اليمن المهمة على ساحل البحر الاحمر، يتبع إداريا محافظة الحديدة غرب اليمن، الميناء الرئيسي لتصدير البن اليماني الى دول العالم المختلفة .تأتي أهميته بعد ميناء عدن والحديدة . للمزيد ينظر سيد مصطفى سالم، تكوين اليمن الحديث، مكتبة مدبولي،ط٤، ١٩٩٣، ص ١٦١ .

١٧- القات : من أشهر نباتات اليمن،وهو شجرة جبلية ضئيلة ذات أغصان خضراء بنهايات حمراء داكنه دائمة الخضرة ،أهتم بزراعتها والاعتناء بها أغلب المشتغلين بالزراعة حتى غلبت على باقي المحاصيل الاقتصادية المهمة مثل اشجار البن، تحول استخدام القات في العقود الاخيرة من ظاهرة أقتصادية الى ظاهرة أجتماعية، فمضغ القات واستخراج مكوناته المخدرة في الفم أصبح يرتبط بالمنزلة الاجتماعية للناس لغلاء أسعار الاصناف الجيدة منه.عبدالله البردوني، الثقافة والثورة في اليمن. فصل- القات من ظهوره الى أستعماله، مط الكاتب العربي، دمشق، ١٩٩١، ص ٥١٧-٥٢١.

١٨- المصدر نفسه، ص ٥٢٣ .

١٩-محمد عبده كيال، المصدر السابق،ص ٧٨ .

٢٠- الأئمة القاسميون : وهم سلالة حكام اليمن من الزيود ، حكموا من صنعاء وشهارة وجبل غراس في أوائل ومنتصف القرن الثامن عشر الميلادي. من أئمتهم القاسم إسماعيل بن أبراهيم و القاسم الحسين بن القاسم والقاسم محمج بن أحمد وغيرهم. الموسوعة اليمنية، المصدر السابق،ج٣، ص٢٣٣٧ .

٢١- الموسوعة اليمنية، المصدر السابق، ج٢، الحديدة ، ص١٠٤٨ .

٢٢- الجمهورية اليمنية، المسح السياحي لمحافظة الحديدة، ١٩٩٦، ص ٧٠ .

٢٣- عبد الرحمن الحضرمي، تهامة في التاريخ ، ج١، ط١، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية في صنعاء، ٢٠٠٥، ص ٧٣ .

٢٤- الموسوعة اليمنية، المصدر السابق، ج٢، الحديدة، ص١٠٤٧ .

٢٥- الدولة الزيادية والدولة النجاحية : وهي دويلات حكمت اليمن في مناطق سهول تهامة ، تبع حكمها الدولة العربية الاسلامية في العراق ، وكلها كانت قوى قبلية متباينة المذاهب والافكار . عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، اليمن في ظلال الاسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول، دار الفكر العربي،ط١، القاهرة،١٩٨٢، ص ١٨٧.

٢٦- عبد الكريم العزيز، التشكيلات المركزية العثمانية والادارة المحلية في اليمن ١٨٥٠-١٩١٨، مركز عبادي للدراسات والنشر ، ط١، صنعاء،٢٠٠٣، ص١٤٧ .

٢٧- الدولة الطاهرية: دولة يمنية أسسها عامر بن طاهر ، أتخذ من حصن المقرانة عاصمة له، وقد ورثت مناطق حكم الدولة الرسولية التي سبقتها ، وشملت معظم مناطق اليمن في تعز وصنعاء عدا المناطق الجبلية الشمالية. الموسوعة اليمنية، المصدر السابق، ج٣، ص ١٩٣٠ .

٢٨- الكنداسة : وهي وحدة تكثيف الماء من البحر، يقوم العمل بها على تقطير مياه البحر المالحة ، وهي بالاصل تستخدم في السفن التي تبحر عدة أشهر في البحر للتزود بالماء الصالح للشرب، وتعتمد في تشغيلها على وقود الخشب أو الفحم. جولة ميدانية في مدينة الحديدة عام ٢٠٠٧.الباحثة.

٢٩- إسماعيل الاكوع، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، منشورات وزارة الاعلام ، ط١، اليمن، ١٩٨٤،ص٥٦ .

٣٠- الأخدام : وهي فئة مهمشة وفقيرة في المجتمع اليمني ، يمتهنون أعمالاً دنيا ووضيعة ، وهم أفارقة في أغلبهم، لايختلطون ولا يتزاوجون مع المجتمع اليمني ، لهم أزياء خاصة تكون فاقعة وملونة في أغلبها ، يعيش معظمهم بالقرب من زبيد والحديدة ولا يلتحقون بالتعليم إلا نادرا، بلغ تعدادهم تقريبا ثلاثة ملايين نسمة نهاية القرن العشرين. أحمد الصباحي ، الاخدام في اليمن عزلة وظلم أسود، أخبار إرم ، صنعاء،٢٠١٣/١٢/٣١ ؛ عبد الحميد عبدالله البكري، التعليم في اليمن ١٩١٨- ١٩٦٢، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد ،٢٠٠٠، ص١١٦ .

٣١- عبدالله محمد الحبشي، دراسات في التراث اليمني، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٩٧٧، ص٦٣ .

٣٢- سلطان أحمد عامر، نظرة في تطور المجتمع اليمني ، دار الطليعة للطباعة والنشر،ط١، بيروت، ١٩٧٠،ص١١٣ .

٣٣- محمد علي الشهاري، اليمن والثورة في الجنوب الانتكاسة في الشمال ، ط١، بيروت،١٩٧٢، ص٧٤.

٣٤- الموسوعة اليمنية، المصدر السابق، زبيد، ج٣، ص ١٤١٤ .

٣٥- عبد الكريم العزيز، المصدر السابق، ص١٣٢؛ أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، القاهرة، ١٩٦٣،ص٣٤٠ .

٣٦- محمد سعيد العطار، التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن، أبعاد الثورة اليمنية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٥، ص٣٨ .

٣٧- أبو القصب الشلال، قاموس الاحداث اليمنية ، دار الازمنة الحديثة للثقافة، بيروت، ١٩٩٥،ص٧٥ .

٣٨- نزيه العظم، رحلة في البلاد العربية السعيدة من مصر الى صنعاء ، مط الحلبي، القاهرة، ١٩٣٧، ص٢٥٩؛ محمد السيد أيوب ، اليمن بين القات وفساد الحكم قبل الثورة ، دار المعارف، القاهرة،١٩٦٣، ص٢٢ .

٣٩- صلح دعان : وهو الصلح الذي عقد في الحادي عشر من أيلول ١٩١١ بين الوالي أحمد عزت باشا مندوباً عن السلطان العثماني وبين الامام يحيى حميد الدين في قرية دعان القريبة من مدينة عمران ، بعد سلسلة من الحروب وقعت بين الطرفين ، أدى هذا الصلح الى تهدئة الاحوال بعد أن كانت تعرف بأنها مقبرة الاناضول. سيد مصطفى سالم، المصدر نفسه، ص٥١٦ .

٤٠- ميناء الخوخة : أو (الخوهة) وهي مدينة ساحلية تقع على البحر الاحمر على بعد ١٦٣ كم جنوب ميناء الحديدة، وهي بالاصل قرية كثيرة السكان وذات تربة خصبة كثر فيها النخيل، دأبت على أخذ الضرائب من السلع المارة بها، وهي من أجمل المناطق السياحية في اليمن، وتحوي الكثير من المعالم الأثارية مثل المسجد الجامع الذي بناه الحسين بن سلامة نهاية القرن العاشر الميلادي،والمعبد اليهودي الذي بني عام ١٦٤٢م ، وقلعة القاهرة التي بنيت عام ١٥٨٣م. الموسوعة اليمنية، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٧٥ .

٤١- مجموعة من المؤلفين السوفيت، تاريخ اليمن المعاصر ١٩١٧-١٩٨٢ ، ت محمد علي البحر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١، ص ١١٧؛وللمزيد ينظر، أحمد الصائدي، حركة المعارضة اليمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، دار الاداب، بيروت، ١٩٨٣.

٤٢- مقابلة شخصية مع المؤرخ عبدالله خادم العمري في مكتبته الخاصة ، مدينة بيت الفقيه،بتاريخ نيسان ٢٠٠٠ .

٤٣- عبد الملك سعيد عبده، العوامل المؤثرة في القرار اليمني ١٩٦٢-١٩٧٨، دار الثقافة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٢، ص٥.

٤٤- ج. إنكارين، مذكرات دبلوماسي في اليمن ، ترجمة قايد محمد طربوش، مكتبة مدبولي،ط١، القاهرة،١٩٩٣، ص٥٩ .

٤٥- مقابلات عدة مع شخصي ات من كبار السن ومشاهدات شخصية للباحثة في محافظة الحديدة . اليمن عام ٢٠٠٧.

٤٦- عبد الرحمن البيضاني ، أسرار اليمن ، كتب قومية ، ج١، جمعه وصوره عبدالكريم محمد الحرازي، ١٩٦٣ ، ص ٢٠-٢٢ .

٤٧- عبد الفتاح عيد، مشاهدات مصري في اليمن، جريدة الاهرام القاهرية، حزيران ١٩٥٢/٦/٢٢، ص ٣.

المصادر

- الوثائق المنشورة :

.....

١. الموسوعة اليمنية، تهامة، مؤسسة العفيف الثقافية،ج١،ج٢،ج٣، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٢

٢.الجمهورية اليمنية ، المسح السياحي لمحافظة الحديدة ، ١٩٩٦.

٣. الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، حلقة الدراسات الأجتماعية ، الدورة الخامسة ،١٦-٢٥ حزيران. مصر

٤. جمهورية مصر العربية، اليمن في الصحافة العربية في القرن العشرين ١٩٥٠-١٩٥٢، اليمن مهد الحضارات، مجلد ١، ج٩، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات ، القاهرة، كانون الثاني ٢٠٠٢.

- الكتب العربية والمعربة :

.....

١. أبراهيم المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، دار الكلمة ،ط٤، صنعاء.

٢.ابو القصب الشلال ، قاموس الأحداث اليمنية، دار الازمنة الحديثة للثقافة والنشر، بيروت، ١٩٦٥.

٣. أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ، القاهرة، ١٩٦٣.

٤. أحمد الصائدي ، حركة المعارضة اليمنية ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، دار الاداب، بيروت، ١٩٨٣.

٥.أحمد الصباحي، الاخدام في اليمن عزلة وظلم أسود ، أخبار إرم، صنعاء، ٢٠١٣.

٦. أسماعيل الاكوع ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، منشورات وزارة الاعلام ، ط١، اليمن، ١٩٨٤.

٧. أمين الريحاني، ملوك العرب ، رحلة في البلاد العربية ، دار الجيل، ط٨، بيروت، ١٩٨٧.

٨. ج. أنكارين ، مذكرات دبلوماسي في اليمن، ترجمة قايد محمد طربوش، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٩٩٣.

٩. ج. هيوارث دَن ، اليمن ، عرض عام للأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، القاهرة، ١٩٥٢.

١٠. جون بولدري، العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركي ١٩١٤-١٩١٩، ترجمة سيد مصطفى ، القاهرة، ١٩٨٢.

١١.حسن محمد جوهر، الزيدية وحكم الأئمة ، القاهرة، ١٩٦٧.

١٢. حسين عبدالله العمري، مئة عام من تاريخ اليمن ١٧٤٨-١٨٤٨، ط١، دار الفكر، دمشق.

١٣. سلطان أحمد عامر، نظرة في تطور المجتمع اليمني، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط١، بيروت، ١٩٧٠.

١٤. سيد مصطفى سالم ، تكوين اليمن الحديث ، مكتبة مدبولي، ط٤، ١٩٩٤.

١٥. عبد الحميد البكري، التعليم في اليمن١٩١٨-١٩٦٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية إبن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٠ .

١٦.عبد الرحمن البيضاني، أسرار اليمن ، كتب قومية ، ج١، جمعه وصوره عبدالكريم محمد الحرازي ، ١٩٦٣.

١٧. عبد الرحمن الحضرمي، تهامة في التاريخ ،المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية في صنعاء، ج١، ط١، صنعاء، ٢٠٠٥.

١٨.عبد الكريم العزيز، التشكيلات المركزية العثمانية والادارة المحلية في اليمن ١٨٥٠- ١٩١٨، مركز عبادي للدراسات والنشر ، ط١، صنعاء، ٢٠٠٣.

١٩. عبدالله عبدالكريم الجرافي، لمحة جغرافية عن اليمن، مجلة العالم العربي، القاهرة، ١٩٤٨.

٢٠. عبدالله البردوني، الثقافة والثورة في اليمن ، القات من ظهوره الى استعماله ، مطبعة الكاتب العربي ، دمشق، ١٩٩١.

٢١. عبدالله محمد الحبشي، دراسات في التراث اليمني، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط١، بيروت، ١٩٧٧.

٢٢. عبد الفتاح عيد ، مشاهدات مصري في اليمن، جريدة الاهرام القاهرية، حزيران ١٩٥٢.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٥ – كانون الثاني لسنة ٢٠٢٠

٢٣.عصام الدين عبدالرؤوف الفقي، اليمن في ظلال الاسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول ، دار الفكر العربي ن ط١، القاهرة ،١٩٨٢.

٢٤. علوي بن سميط، يهود اليمن ، موقع المشهدالعربي . https:// almashhabalaraby.com

٢٥. عبد الملك سعيد عبده ،العوامل المؤثرة في القرار اليمني ١٩٦٢-١٩٧٨، دار الثقافة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢.

٢٦. مجموعة من المؤلفين السوفيت، تاريخ اليمن المعاصر١٩١٧-١٩٨٢، ت محمد علي البحر، مكتبة مدبولي، القاهرة،١٩٩١.

٢٧. محمد الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق محمد علي الاكوع ، دار الحكمة اليمانية ،ط٢، صنعاء،١٩٩٦.

٢٨. محمد السيد أيوب، اليمن بين القات وفساد الحكم قبل الثورة ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.

٢٩. محمد عبده كيال، الفقيه الذي لم ينصفه التاريخ ، منتدى العمري، صنعاء، ١٩٩٩.

٣٠. محمد علي الشهاري، اليمن والثورة في الجنوب الانتكاسة في الشمال ،ط١، بيروت،١٩٧٢.

٣١. نجم الدين عمارة بن ابي الحسن بن زيدان اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد في تاريخ صنعاء وزبيد وملوكهما وشعرائهما وأدبائهما ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢. نزيه العظم ، رحلة في البلاد العربية السعيدة من مصر الى صنعاء، مطبعة الحلبي ، القاهرة، ١٩٣٧.

٣٣. يوسف اليوسفي، هل كانت بيت الفقيه مدينة يهودية، جريدة الجمهورية، ع ٨، ١٩٩٩ .